سيميائية ألفاظ الغراب في التراث العربي بين المعاني المعجمية والدلالات السياقية

وداد معلم
قسم الآداب واللّغة العربية
جامعة الإخوة منتوري
قسنطينة

ملخص:

كان للغراب أثر كبير في بيئة العرب الاجتماعية حيث ظهر ذلك جليا في شعرهم ونثرهم، بحيث استوحوا منه صورا متعدّدة لسلوكات اجتماعية بنيت إمّا على التّشاؤم أو رفض طبائع الغير، استنادا إلى ما لاحظوه عيانا في حياة هذا الطائر، أو أنّهم استقوا ملمحا أسطوريا في واقع تصوّراتهم الخيالية بناء على قصص خرافية، إلى جانب ما جاء به القرآن والحديث في هذا السّياق، ممّا جعل اللّغة العربية غنيّة بكثير من الألفاظ التي لها علاقة بوصف طبيعة الغراب، وهذ المقال سيتطرّق إلى مجموع ألفاظ الغراب المعجمية ودلالتها في الفكر العربي القديم في الشعر والنثر.

Abstract:

The crow is one of the birds that made place for itself in the arab thinking in ancient days, it had also a significant impact on their social environment, where his influence is evident in their poetry and prose. Thay inspired from him multiple images of social behavior which were built on either pessimism or rejection of others, based on what they perceived in this bird's daily life, or they gleaned a legendary picture based on their fictional perception and fairy tales. The Quran and hadith offered Arabs with more than models on the nature of this bird which made the Arabic language teeming with a lot of words that have relationship with any behavior, or related to the shape of the bird. This article will address the crow total words and its significance in ancient Arab thoughts in poetry and prose.

مقدّمة:

يعدّ الحيوان أقرب المخلوقات إلى الإنسان وأكثرها تفاعلا معه على مرّ العصور، واستجابة لغريزة البقاء استأنس البشر أنواعا مختلفة من الحيوانات وسخّروها لأجل خدمتهم وتأمين بعض حاجات عيشهم، إلاّ أنّه يوجد من الحيوان ما استعصى عن الترويض؛ إذ بقيت منه أنواع اكتسبت صفات الوحش المتمرّد على الانسان، لذلك كثيرا ما يكون الصّراع هو الذي يحكم العلاقة بين الجنسين. لم تختلف طبيعة العربيّ في علاقته مع الحيوان عمّا ذكرناه سابقا، حيث دفعته ظروف حياة الصحراء القاسية إلى اعتماده كوسيلة لتسهيل ظروف العيش لسيّما الحاجة إلى توفير الغذاء في ظلّ

© جامعة الإخوة منتوري قسنطينة الجزائر2016

ندرة النباتات، "فندرة النّبات كانت الدّافع الحقيقي الذي دفع القبائل إلى عدم الاعتماد في حياتهم على ما تنتجه الأرض فقط، ودفعها إلى استغلال كافة الموارد على أيّة طريقة كانت فاضطروا إلى أن يجعلوا الحيوان عماد حياتهم، متنقلين وراء ماشيتهم من مرعى إلى مرعى يقيمون أودّها، ويحفظون حياتها، ويقون بها أنفسهم، من هلاك محقق"[1]، وعليه سخرت لهم الأنعام فيستفيدون من ألبانها ولحومها وجلودها، كما يستعينون ببعضها في تنقلاتهم عند السّفر، وأيام الحرب.

أمّا الوحش من الحيوان الذي يعيش في مجاهل الصحراء فإنّه مطلب الإنسان العربيّ ضمن حلقات الصّيد المستمرّة التي يحصل بوساطتها على غذاءه من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ رحلات الصّيد هذه كانت مجالا للمفاخرة بين الفرسان لإثبات شجاعتهم والتشهير بها في أشعارهم، "وكان صيد الحيوان الشّغل الشّاغل لكثيرين منهم، فكانوا يدرّبون الكلاب عليه ويضرّونها تضرية حتى تصبح من الجوارح الفاتكة، وفي شعرهم قطع كثيرة تصف المعارك التي كانت تنشب بينها وبين الأتن وحمارها، أو البقر وثورها."[2]

يشغل الطّير من الحيوان حيّزا مهما من تفكير العربيّ، ذلك أنّه يعبّر عن نظرته نحو الأشياء حوله، حيث تتجسّد هذه النّظرة انطلاقا من صورة هذا الطّائر أو لونه أو صوته أو غير ذلك من مظاهر حياة هذه الطيور التي تصادفت وواحدة من الحالات الوجدانية لدى العربي، فحكم عليها وجعل لها أسماء وألقابا ترتبط بها تفاؤلا أو تشاؤما كما يظهر ذلك في أشعارهم أيضا، "فعرض لها الشّعراء في كثير من أوصافهم، وعاداتهم وتقاليدهم، ولأنّ بعضها كان يثير في نفوسهم أحاسيس ومشاعر معيّنة كالبوم والغراب، وبعضها يكتسب جانبا عاطفيا خاصا كالحمام"[3]، ويعدّ (الغراب) أكثر الطيور التي كانت تثير في نفس العربي التشاؤم وتبعث فيه مشاعر التطيّر والقلق، ولذلك تجدهم يطلقون عليه أسماء كثيرة تعبّر عن صفة التشاؤم التي علقت به، فهو غراب البين، وهو الحاتم، والأعور، والفاسق وغير ذلك من الألقاب والأسماء الدّالة على الغراب التي تلخّصت فيها دلالات النّفس العربية المتشائمة، ومن تمّ سجّلت ألفاظ الغراب حضورها في المعجم العربيّ من وجوه مختلفة تلخّص طبيعة هذا الطّائر، وتبيّن كيفية تعبير اللّغة العربية عن ذلك التفاعل الوجداني بين النّفس الإنسانية والطّائر الغراب.

أولا: سيميائية لفظ (الغراب) في التراث العربي

نستطيع ممّا سبق أن نعرف أنّ الغراب هو مدعاة للتشاؤم تبعا لمعتقدات العرب وثقافتهم، ويظهر ذلك في سياق ما عرف عندهم بالعيافة والطّيرة والزّجر؛ وأمّا العيافة: "فزجر الطّائر وذلك أن تعتبر بأسمائها، ومساقطها، ومجاريها، وأصواتها"[4] ، وأمّا الطّيرة أو التطيّر -كما يقول الجاحظ- "إنّما كان من الطّير ومن جهة الطير، إذا مرّ (بارحا أو سانحا)[5] ، أو يراه يتفلّى وينتتف، حتى صاروا إذا عاينوا الأعور من النّاس أو البهائم، أو الأعضب أو الأبتر، زجروا عند ذلك وتطيّروا عندها، كما تطيّروا من الطّير إذا رأوها على تلك الحال. فكان زجر الطّير هو الأصل ومنه اشتقوا التطيّر؛ ثمّ استعملوا ذلك في كلّ شيء"[6]، والزّجر: "للطّير وغيرها التيمّن بسنوحها والتشاؤم ببروحها."[7]

وقد ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان مدى تشاؤم العرب بالغراب من وجوه مختلفة أكثر من غيره في هذا الباب، حيث يقول:

"فالغراب أكثر من جميع ما يتطيّر به في باب الشؤم، ألا تراهم كلّما ذكروا ممّا يتطيّرون منه شيئا ذكروا الغراب معه؟ وقد يذكرون الغراب ولا يذكرون غيره، ثمّ إذا ذكروا كلّ واحد من هذا الباب لا يمكنهم أن يتطيّروا منه إلاّ من وجه واحد، والغراب كثير المعاني في هذا الباب، فهو المقدّم في الشّؤم."[8]

ويذهب ابن قتيبة مذهب الجاحظ في ذلك فيقول: "وليس شيء ممّا يزجرونه من الطّير والظّباء وغيرها أنكد منه، ولست تراه محمودا في شيء من الأحوال ويشتقون من اسمه الغربة."[9]

والعرب تتشاءم أيضا من بعض سلوكات الطّائر الأسود فهو يتّصف بالقبح واللّؤم والضّعف والتقمّم وأكل الجيفة؛ قال الجاحظ: "الغراب من لئام الطّير وليس من كرامها، ومن بغاثها وليس من أحرارها، ومن ذوات البراثن الضّعيفة، والأضفار الكليلة [...] وهو فَسْلٌ[10]إن أصاب جيفة نال منها وإلاّ مات هزالا، ويتقمّم كما يتقمّم بهائم الطّير وضعافها."[11]

ولفظ الغراب يحمل في ذات حروفه الدّلالة على صفات الغراب، "فالغين من غدر وغرور، وغيبة، وغمّ، وغلّة –وهي حرارة الحزن- وغِرّة، وغَول- وهي كلّ مَهلَكة- والرّاء من رُزْء ورَوْع وردًى –وهو الهلاك-. والباء من: بلوى وبؤس، وبُرَح –وهو الدّاهية- وبوار- وهو الهلاك -"[12]، وقد ذكر المقدسي في (كشف الأسرار في حكم الطّيور والأزهار) صفات الغراب، وكلّها صفات لا تخرج عن سياق الشّؤم، فهو النّاعق بين الأحباب، النّائح، النّادب اللّابس من سود الثياب، الدّاعي إلى البين، نذير الشّتات مشئوم لئيم، فقال: "فبينما أنا في نشوة الخطاب، وسكرة هذا الشّراب، إذ سمعت صوت غراب، ينعق بين الأحباب، ويغرق بين الأتراب، ينوح نوح المصاب، وينذب ما يجده من أليم العذاب، قد لبس من الحداد جلباب، ورضى بين العُبّاد بتسويد الثّياب، فناديته: أيّها النّادب، لقد كدّرت ما كان صافيا، ومرّرت ما كان حالوا شافيا، فمالي أراكي في البكور ساعيا، وعلى الرّبوع ناعيا، وإلى البين داعيا، إن رأيت شملا مجتمعا، انذرت بشتاته، وإن شاهدت ربعا مُربعا، بشّرت بدروس عرصاته، فأنت لذى الخليط المعاشر، أشأم من قاشر، وعند اللّبيب الحاذر، ألأم من مادر"[13]

1)- الغراب في القرآن الكريم

قال الله تعالى: (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ(30) فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ(31))[14]

تذكر الآية قصة الغراب مع ابن آدم حين دلّه كيف يواري جثة أخيه تحت التّراب، "وقد تبث أنّ الغراب يقوم بحفر الأرض بواسطة كلّ من مخالبه ومنقاره ليكوّن حفرة عميقة فيها ثمّ يقوم بطيّ جناحيّ الغراب الميّت وضمّهما إلى جنبيه، ورفعه برفق لوضعه في قبره ثمّ يهيل عليه التّراب حتّى يخفي جسد الميت تماما كما يفعل المسلمون بموتاهم احتراما لهذا الجسد حيّا أو ميتا."[15]

لماذا سخّر الله عزّ وجلّ الغراب لهذه المهمّة؟

ويقال في هذا الشّأن أنّ "الله بعث غرابين فاقتتلا حتى قتل الله أحدهما صاحبه، ثمّ حفر فدفنه. وكان ابن آدم هذا أوّل من قتل، وقيل: إنّ الغراب بحث الأرض على طُعمه ليُخفيه إلى وقت الحاجة إليه؛ لأنّه من عادة الغراب، فعل ذلك، فتنّبه قابيل بذلك على مواراة أخيه"[16]، وقال الجاحظ: "فلولا أنّ للغراب فضيلة وأمورا محمودة، وآلة وسببا ليس لغيره من جميع الطّير لمّا وضعه الله تعالى في موضع تأديب النّاس، ولما جعله الواعظ، والمذكّر بذلك"[17]، وبغضّ النّظر عن المهمّة التي أرسل الله إليها الغراب وهي التّعليم، فإنّ الظرف العام الذي وافق ظهوره هو الفراق والحزن والموت، فليس من المناسب أن يحضر الموقف حماما أبيضا يرمز إلى السّلام وإنّ أيّ لون غير السّواد يكون أقلّ تعبيرا على ألم وقبح الموقف، فقد اقتضت الحادثة أن يكون لون الطّائر أسودا، ليكمل رسم اللّوحة البائسة لحادثة القتل الأولى في تاريخ البشر والتي سنت لشريعة سفك الدّماء.

2)- في الحديث:

الغراب من الفواسق كما سمّاه النّبي صلى الله عليه وسلم والفواسق التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بقتلها في الحلّ والحرام خمس وهي: "الفارة، والعقرَب، والحُدَيَّا، والغراب، والكلب العقور"[18]، وعن النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم –أيضا- أنّه استكره اسم الغراب لرجل أسلم فسمّاه مسلم؛ وفي هذا السّياق نذكر "حديث محمّد بن سنان العوفي عن عبد الله بن الحارث بن أبزي المكّي قال: حدّثتني أمّي ريطة ابنة مسلم عن أبيها قال: "شهدت مع النّبيّ صلّى الله عيه وسلّم حُنَيْنا فقال لي: ما اسمك؟ قلت: غراب، فقال: أنت مسلم"[19]، قال ابن قتيبة: "كره أن يكون اسمه غرابا لفسق الغراب ومعصيته، فسمّاه مسلما، وكذلك كان مذهبه عليه الصّلاة والسّلام في الاسم إذا كرهه للرّجل أن يسمّيه بضدّ معناه."[20]

3)- الغراب في الشّعر العربي القديم

إنّ التشاؤم بالغراب بهذا الشكل الكبير إنّما مردّه إلى أمور عديدة اجتمعت في هذا الطائر؛ فمجرّد رؤيته تدفع إلى الزّجر على نحو يتبعه لابدّ شؤم وشرّ، قال علقمة بن عبدة :

وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلْغِرْبَان يَزْجُرُهَـا عَلَى سَلاَمَتِهِ لاَبُدَ مَشْـــؤُوم

وكلّ بَيْتٍ وَإِنْ طَالَتْ إقامَـــتُه عَلَى دَعَائِمِه لاَ بُدَّ مَـــهْدُوم[21]

ومن زجرهم للغراب أنّهم تشاءموا من اسمه، ومنه اشتقوا الدّلالة على الغربة، ومن ثمّ صدق عليه اسم (الغراب)؛ قال ذو الرّمة:

رَأَيْتَ غُرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ قَضْبَةً مِنَ القُضْبُ لَمْ يَنْبُت لَهاَ وَرَقٌ خُضْرٌ
فَـقُلْتُ غُرَابٌ لاغْـتِرَابٍ وَقَضْبَةٌ لِقَضْـبِ النَّـوَى تِلْـكَ العَيَافَةُ وَالـزَّجْرُ[22]

فكان ظهور الغراب دليل على الاغتراب، كما زادوه صفة البين، فسمّوه (غراب البين)، على نحو ما قال عنترة:

غُرابُ البَيْن، مَالَك كلّ يَوْم تُعَانِدُنِي وقَدْ أَشْغَلْتَ بَـــالِي
كَأَنِّي ذَبَحْت بِحَدِّي سَيفِـــي فِرَاخَكَ أو قَنَصْتُك بِالحِبَال[23]

ومن صوته استدلوا على الفراق؛ قال ذو الرّمة:

ومُسْتَشْجِجَات بِالْفِرَاق كَأَنَّهَا مَنَاكِيلُ مِنْ صُيَّابَةِ النُّوْبِ نُوَّح[24]

والغربان تسمّى أيضا: الشّواجِ[25]، والشّحيج هو صوتها، وكذلك "الغراب ينْغِق –بالغين معجمة- وينعِب"[26]، وفي هذا الشّأن يقول الجاحظ: نَغَق الغراب ينغِق نغيقا، بغين معجمة؛ ونَعَب ينْعِب بعين غير معجمة. فإذا مرّت عليه السّنون الكثيرة وغلُظ صوته قيل شحج، يشْحَج شحيجا"[27]، فصوته يتّسم بالخشونة والفظاظة كما يصفها زغلول نجار في كتابه (الحيوان في القرآن الكريم) حيث يقول: وعلى الرّغم من هذه الميزات العديدة للغربان فقد درج بعض النّاس على التشاؤم من رؤيتها، وذلك بسبب نعيقها المفزع وخشونة وفظاظة أصواتها ..."[28] ، وقد وصف لنا عنترة في واحد من أبياته تشاؤمه من صوت الغراب وأنّه يروّعه حين سماعه فيقول:

يا عَبْلَ كَمْ يُشْجَى فُؤَادِي بِالنَّوَى وَيَروعُنِي صَوْتُ الغُرَابِ الأَسْوَدِ[29]

ويخبر في موضع آخر أنّ صوت الغراب يبعث فيه الحزن ويدفعه إلى البكاء لأنّه نذير له بالشرّ والهجران، فيقول:

إذا صاح الغراب به شجاني وأجرى أدمعي مثل الـــلآلي
وأخبرني بأصناف الرّزايـا وبالهجران من بعد الوصالي[30]

فصوت الغراب بالنّسبة لعنترة سيتبعه حزن وبكاء، وأنّه نذير له بحلول الرّزايا ووقوع الفراق والهجران، وقال أيضا في موضع آخر:

فزجرته ألاّ يُفرِّخ عُشّـــــــــــــــه أبدا ويُصْبح واحدا يتفجّـــــــــــــع
إنّ الذين نعبت لي بفراقهم قد أسهرو ليلي النّمام فأوجعو[31]

ومن لونه الأسود استشعروا ظلمة الاغتراب والفراق، كما عبر عن ذلك أحمد بن فرج الجبّائي في قوله:

أَمَّا الْغـرَابُ فَمُؤْذِنٌ بِتَغَـــــــــــــرُّب وَشْكًا فَصَدِّق بَالـنَّوَى أَوْ كَـذِّب
دَاجِي الْقِنَاع كَـأَنَّ فِي إِظْلاَمِه إِظْـــــــــــــلاَم يَـوْمِ تَـفَـرُّق وَتَغَـرُّب[32]

4)- الغراب في الأمثال العربية:

لقد عبّرت الأمثال العربية عن طبيعة هذا الطّائر وبعض صفاته وخصائصه، وهي الأخرى تمثل جانبا من ثقافة العرب ومعرفتهم بالغراب، فقد أدركوا حدّة بصره فقالوا: (أبصر من غراب)[33] و(أصفى من عين الغراب)[34] ، ولذلك كنّوه بالأعور تفاؤلا، يقول الجاحظ: "فسمّوه الأعور كناية، كما كنّوا طيرة عن الأعمى فكنّوه أبا بصير"[35]، وقالوا أيضا (أبكر من غراب)[36] ؛ قال الميداني: "هو أشدّ الطّيور بكورا"[37]، و(أحذر من غراب)[38] ؛ "ذلك أنّهم يحكون في رموزهم أنّ الغراب قال لابنه: يا بنيّ إذا رُميت فَتَلوّص، أي تلوّى، فقال: يا أبتي أتلوّص قبل أن أُرمى."[39]

وقالت العرب: "(آلف من غراب عقدة): وهي أرض كثيرة النّخل لا يطير غرابها[...] كلّ أرض ذات خصب عقدة"[40].

ومن أمثالهم أيضا: (أزهى من غراب)[41] ، وكذلك ويقال (أخيل من غراب)[42] "لأنّه يختال في مشيته"[43]، و(أشأم من غراب البين)[44] ، و(أعزّ من الغراب الأعصم)[45] و(أفسق من غراب)[46]

ويقولون: (طار غراب فلان إذا شاب رأسه)[47] ، و(أشبه من الغراب بالغراب)[48] ، وكذلك قولهم: (وجد عندهم تمرة الغراب)[49] ، وذلك إنّما "لأنّ الغراب ينتقي من التّمر أطيبه وأجوده"[50]، ويقال أيضا (الغراب أعرف بالتّمر)[51].

وقالو (أبطأ من غراب نوح)[52] ، وأيضا (أصح بدنا من غراب، وأرض لا يطير غرابها، وأشد سوادا من الغراب، ولا يكون ذلك حتى يشيب الغراب)[53] ، وكذلك قالو: "تَفْرَق من صوت الغراب، وأصل المثل أنّ امرأة افترست أسدا ثمّ سمعت صوت الغراب ففزعت منه، ويضرب لمن يخاف الشيء الحقير ويقدم على الشيء الخطير"[54]، ويقال: (كالغراب والذئب)[55] "يضرب للرّجلين بينهما موافقة ولا يختلفان، لأنّ الذّئب إذا أغار على الغنم تبعه الغراب ليأكل ما فضل منه."[56]

5)- تأويل رؤيا الغراب في المنام:

تدلّ رؤيا الغراب في المنام على الفسق، وفي هذا السّياق يقول ابن قتيبة في كتابه (تعبير الرؤيا): "والغراب إنسان فاسق كذوب. فمن رأى أنّه عالج غرابا: عالج إنسانا كذلك. فإن أصاب غرابا أو أحرزه: فإنّه في غرور وباطل. فإن رأى أنّ له غرابا يصيد: أصاب غنائم من باطل."[57]

ثانيا- اللّون الأسود:

(الأسود) من (سَوَدَ) وهو: "نقيض البياض؛ سَوِدَ، وساد، واسودّ اسويدادا واسوادّ اسوداد ويجوز في الشّعر اسوادّ، وهو أسود، والجمع سُودٌ وسُودَان. وسَوَّدَه جعله أسودَ، والأمر منه اسوادِ. وتصغير الأسود أُسَيِّدٌ ، وإن شئت أُسَيْوِداً أي قد قارب السّواد، والنّسبة إليه أُسَيْدِيٌّ. وتصغير الترخيم سُوَيْدٌ."[58]

واللّون الأسود درجات ومراتب ذكرها الثّعالبي وهي كالآتي: "أسود، وأسحم، ثمّ جون وفاحم، ثمّ حالك وحانك، ثمّ حُلوك وسُحْكوك، ثمّ خُداريّ ودَجوجيّ، ثمّ غِربيب وغُدافيّ"[59]، ومن لواحقه ذكر: "أَخطَب، أَغْبَش، أَغبَرُ، قاتِم، أَصدَأ، أَحوى، أكهَب، أربَد، أغثَر، أدغَم، أظمى، أوْرق، أخْصَف."[60]

1)- الأسود والنّفس الأنسانية

ارتبط اللّون الأسود عند الإنسان -منذ القديم- بالدّلالات السّلبية، كما يتجلى ذلك واضحا في معتقداتهم وخرافاتهم وأساطيرهم، "فبعض الشّعوب ترى استخدام أحجارا معيّنة لكشف الكذب، إذ كان يُعتقد في تحوّلها في يد الشّاهد الكاذب إلى اللّون الأسود[...]، وهو عند الهنود والأمريكيين رمز للعالم السّفلي"[61]، ويمكن القول أنّ للألوان بصفة عامّة تأثيرها على نفس الإنسان، حيث تعبّر الألوان في كثير من الأحيان على شخصيات النّاس الذين يستعملونها في ثيابهم، أو غرفهم أو رسومهم، "فالأسود أعمق الألوان وهو في الحقيقة سلب اللّون نفسه، فهو –لا- المضادة لـ -نعم- الأبيض[...] والأسود نفسه كسلب يمثّل تخلّيا. يمثّل الاستسلام النّهائي أو الإقلاع"[62] ، وعليه فإنّ الأسود "رمز للحزن والألم والموت، كما أنّه رمز للخوف من المجهول والميل إلى التكتّم، ولكونه سلب اللّون يدلّ على العدمية والفناء."[63]

فالأسود أكثر الألوان التي ترتبط دلالته في ذهن الإنسان بمظاهر الشرّ والموت ومواقف الحزن والكآبة والشعور بالضياع، حيث تختفي العوالم عن مرأى البصائر، ويكبر في النّفوس الشعور بالخوف والقلق إزاء ما قد يكون، وعليه فإن أكثر ما يعبّر عنه الأسود بالنسبة لأغلب النّاس هو الحزن والمجهول الذي يحمل إليهم الضّرر، فثوب الحداد أسود فهو من رموز الموت والحزن، والقبر مظلم وهو سكن ما بعد الموت، وكذلك العالم السّفلي المظلم يحمل دلالات الرّعب والعالم الآخر الذي يخيف الإنسان والذي يقابله العالم العلوي عالم النّور والحياة البشرية.

2)- الأسود في القرآن والحديث

ارتبط الأسود في القرآن الكريم بوصف حال المجرمين أهل النّار، قال تعالى: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ)[64]، "فابيضاض الوجوه عبارة عن المسرّة واسوادها عبارة عن المساءة."[65] ، وكذلك في وقوله تعالى: (وإِذَا بُشِّر أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُه مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيم)[66]، وفي مواضع أخرى عبّر القرآن الكريم عن السّواد باللّيل المظلم، قال تعالى: (كأنّما أغشيت وجوههم قطعا من اللّيل مظلما)[67]؛ فسواد وجوهم من سواد ذنوبهم.

وجاء في الحديث أنّ الحجر الأسود نزل من الجنّة وهو شديد البياض فسوّدته ذنوب البشر، وعن ابن قتيبة في مؤلّفه تأويل مختلف الحديث عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: "الحجر الأسود من الجنّة، وكان أشدّ بياضا من الثّلج، حتى سوّدته خطايا أهل الشّرك."[68]

كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم قد أمر بقتل الكلب الأسود، فقال عليه أفضل الّصّلاة: "لولا أنّ الكلاب أمّة من الأمم، لأمرت بقتلها، فاقتلوا منها كلّ أسود بهيم"[69]؛ قال ابن قتيبة: "لأنّ الأسود البهيم منها أضرّها[...]، وأقلّها نفعا وأسوؤها حراسة، وأبعدها من الصّيد، وأكثرها نعاسا."[70]

3)- اللّون الأسود والغراب

ارتبط السّواد عند الجاحظ بالقبح واللّؤم وشرّ النّفوس[71]، حال البشر في ذلك حال الغراب، فسواده لا يدل إلا على قبحه وشرّه أيضا، ويضيف إلى ذلك قوله: "والغراب إمّا أن يكون شديد الاحتراق فلا يكون له معرفة ولا جمال، وإمّا أن يكون أبقع فيكونَ اختلاف تركيبه وتضادّ أعضائه دليلا على فساد أمره. والبُقع ألأم من السّود وأضعف،[72]كذلك فإنّ فراخ الغراب عند الفقص "تخرج بيضا فإن رآها – الغراب- كذلك نفر عنها، فتفتح أفواهها، ويرسل الله لها ذبابا فيدخل في أجوافها، فيكون غذاءها حتّى تسودّ، وإذا اسودّت عاد الغراب فغذّاها، ويرفع الله عنها الذباب."[73]

ويزيد على ما سبق أنّ الشاعر كثيرا ما يذكر اللّون الأسود في وصف الغراب؛ تأكيدا على أنّ هذا اللّون يزيد من حدّة الشّعور بالتشاؤم الذي أوقعه الطائر في نفس الشاعر، قال النّابغة:

أَمِنْ آل مَيَّةَ رَائِح أَو مُغْتَـــــــد عجلان ذَا زَادِ وَغَيْر مـــــــــزَوَّد
أَفِدَ التَّرَحُّل غَيْر أنّ رِكَابنـــــــا لمّا تَزُل بِرِحـــــــــالِنا وَكَأَنْ قَـــــــــدِ
زَعَم الغُرَابُ بِأَنَّ رِحْلَتَنا غَدًا وَ بِذاك خَبّرنا الغُدافُ الأَسْود[74]

ويصوّر عنترة مشهد حزنه حين الفراق وقد طغى على وصفها اللّون الأسود، في ليل مظلم، وحبّ خمخم أسود، ونوق سوداء سوادها من سواد الغراب الأسحم. قال عنترة:

إنْ كنت أزْمَعتِ الفِرَاقَ فَإنّمـا زُمّت رِكَابُـــكُم بِـــلَيْـــلٍ مُـــظْـــلـــــــمِ
ما رَاعَنِي إلاّ حُمُولَةُ أَهْـلِهـــــــا وَسْطَ الدّيار تَسَفّ حبّ الخِمخِم
فيها اثنتان وأربعون حَلـــــُـــوبـــة سُودًا كَخَافِيَة الـــغُرَابِ الأَسْـــحَـــم[75]

وكانت العرب تسمّي السّود من عبيدهم أغربة، وفي لسان العرب: "وأغربة العرب: سودانهم شبّهوا بالأغربة في لونهم"[76]، واللّون الأسود الذي يلون الغراب أشدها وأحلكها، وقال ابن منظور في موضع آخر: "وأسود غرابيٌّ وغِربيب: شديد السّواد"[77]، فكان العبيد يعيَّرون بسوادهم حيث نجد عنترة يردّ عنه عيب السّواد بشجاعته وخصائله فيقول:

تعيّرني العدى بسواد جلدي وبيضُ خصائلي تمحو السّوادا[78]

ثالثا- أسماء الغراب وكناه:

وأسماء الغراب وكناه متأتية من طبيعة هذا الكائن وأنواعه وصفاته التي لاحظها العربي خلال مشاهدته للغراب وأحواله، والمواقف التي جمعته به.

1)- أسماء الغراب:

وأغلب أسمائه مستقاة من لونه الأسود أو صفاته، أو مستوحاة من قصّته مع نوح عليه السّلام كما سيظهر في مجموع الأسماء الأتية:

- **الأبقع:** والغراب الأبقع: الذي فيه سواد وبياض، والبَقع بالتحريك في الطّير والكلاب بمنزلة البَلَق في الدّواب"[79]، قال عنترة:

ظَعَنَ الّذِينَ فِرَاقُهُم أَنَوَقّع وَجَرَى بِبَيْنِهِم الغُرَاب الأَسْوَد[80]

- **الأزرق:** نوع من الغربان، ذكره الأبشيهي في المستطرف[81].

- **الأصرمان:** "الذئب والغراب؛ لأنّهما انصرما من النّاس"[82]؛ مفردها الأصرم إذا ما أطلق على أحدهما.

- **الأعرج:** قال الزمخشري "وحجل في دارهم الأعور الأعرج وهو الغراب لحجلانه وانقباض نساه."[83]

- **الأعصم:** والغراب الأعصم هو "الذي في جناحه ريشة بيضاء. وقال بعض أهل اللّغة: هو أن تكون إحدى رجليه بيضاء"[84] و"قيل: هو الأبيض، وذلك لم يكن قطّ ولا يعرف"[85]، قال الدّميري: "والغراب الأعصم عزيز الوجود."[86]
- **الأعور:** والغراب يسمّى أعورا وهو حاد البصر تفاؤلا، "ويسمّى عويرا على ترخيم التصغير."[87]
- **الأكحل:** وهو نوع من الغربان[88].
- **البَغاث:** ذكر ابن سيده في المحكم أنّه "قيل: البَغاث أولاد الرّخم والغربان."[89]
- **الحاتم:** وسمّي الغراب بالحاتم لأنّه "يحتم بالبين والفراق"[90]، وفي جمهرة اللّغة: "الحتم من قولهم: حتم الله كذا، إذا قضاه، وقضاء الله حتم لا يردّ"[91]، وذكر الجوهري في الصّحاح أنّ "الحاتم: الغراب الأسود"[92]، وفي اللّسان: "الحتمة: السّواد. والأحتم: الأسود."[93]
- **الحَذَف:** وذكر الأزهري في تهذيب اللّغة عن "ابن شميل: الأبقع: الغراب الأبيض الجناح."**(94)**
- **الزّاغ:** "من أنواع الغربان، يقال له: الزّرعي وغراب الزّرع، وهو غراب أسود صغير، وقد يكون محمرّ المنقار والرّجلين، ويقال له غراب الزّيتون لأنّه يأكله. وهو لطيف الشّكل، حسن المنظر."[95]
- **الزّاغ الأورق[96]: "**وهذا الصّنف يحكي جميع ما يسمعه"**(97)**، والأورق: " الذي لونه بين السّواد والغُبرة."[98]
- **الشّحاج:** قال جران العود:

جَرَى يَوْمَ رُحْنَا بِالركاب نَزِفُهَا عُقَابٌ وَشَحَّاجٌ مِنَ الطير متيح[99]

قال الجاحظ: "وجعل الشّحاج هو الغراب البارح، وصاحب البين"[100]، وفي نظام الغريب أنّ "الغربان تسمّى الشّواحج"[101].

- **العوهق:** "الغراب الأسود"[102]، وهو: "الغراب الجبلي"[103]، وفي اللّسان: "الغوهق: الغراب."[104]
- **الغاق:** "وغاق: حكاية صوت الغراب، وربّما سمّي الغراب به لصوته"[105]؛ ويقال: "سمعت صوت الغاق."[106]
- **الغُدَاف:** "الغُدفان جنس من الغراب وهي لئام جدّا"[107]، "وخصّ بعضهم به غراب القيظ الضّخم الوافر الجناحين، والجمع غُدفان"[108] وهو "الضّخم الأسود الذّي ليس بأبقع."[109]
- **الغراب:** والغراب في لسان العرب: "الطّائر الأسود، والجمع أغربة، وأَغْرُب، وغِربان وغُرُب. وغَرَابين جمع الجمع. وغُرَاب غارِب، على المبالغة، كما قالوا: شعر شاعر"[110]، قال الدّميري: "الغراب معروف: سميّ بذلك لسواده."[111]

ولفظ (الغُراب) يحمل دلالة الاغتراب "بمعنى البعد والنّوى"[112]، فلو أردنا أنّ لفظة (الغرُبة) - بمعنى البعد- مشتقة من لفظ (الغراب)، من مثل "قولهم (قذفته نوى غُربة) و(هذا شأو مُغَرِّب) أي: بعيد، وهذه عنقاء مُغْرِب: أي جائية من بعيد. وما أشبه هذا مشتق من اسمه؛ لمفارقته نوحا عليه السّلام ومباينته إيّاه."[113]

وذكر ابن قتيبة أنّه "سُئِل بَعْض علماء الأعراب، لم سمي الغراب غرابا؟ فقال: لأنّه نأى واغترب وذهب. هذا إلى أنّ اسمه مشتق من الغربة، لا إنّ الغربة مشتق منه"[114]، أي أنّه لمّا تغرّب عن نوح عليه السّلام ونأى عنه ولم يرجع سمّي باسم الفعل الذي أقدم عليه، فلأنّه تغرّب أي ابتعد عن النّبيّ سمّي غرابا، ويذكر الجاحظ أنّ الغراب سمّي بذلك إن كان أسودا."[115]

- **غراب البين:** وهو من أشهر الأسماء التي أطلقت على الغراب، "وغراب البين نوعان: أحدهما غربان صغار معروفة بالضّعف واللُّؤم، والآخر: كلّ غراب يتشاءم به"[116]، و(البين) في اللّغة من قولهم: "بان يبين بينا وبينونة. والبين الفراق."[117]

وإنّما سمّي غراب البين لأنّه: "إذا بان أهل الدّار للنّجعة، وقع في مرابض بيوتهم يلتمس ويتقمّم، فيتشاءمون به ويتطيّرون منه؛ إذ كان لا يعتري منازلهم إلاّ إذا بانوا، فسمّوه غراب البين"[118]، وفي رأي آخر يرى ابن قتيبة أنّه سمي (بغراب البين) "لأنّه بان عن النّبي نوح عليه السّلام."[119]

- **غراب اللّيل:** ذكر الجاحظ أنّه الذي "ترك أخلاق الغربان وتشبّه بأخلاق البوم"[120]، وصفه أمين المعلوف (في معجم الحيوان) بقوله: "طائر من فصيلة البلشون أي مالك الحزين، على قدر الحمامة أسود

الرأس والعنق، أخضر الظهر، أغبر العجز والذّنب، يتدلّى من رأسه ريشتان طويلتان أو ثلاث شديدة البياض."[121]

- **الغِربيب:** قال ابن دريد في جمهرة اللّغة: "والغربيب الأسود، أحسب أنّ اشتقاقه من الغراب إن شاء الله"[122]، أي من لونه الأسود.

- **الفاسق:** يقال "فَسَقَت الرَّطبة، إذا خرجت عن قشرها. وفسق الرّجل يَفْسُق ويَفْسِق أيضا، عن الأخفش، فَسْقا وفُسوقا أي فجر. يقال فسق عن أمر ربّه أي خرج"[123]، ومن قصّة الغراب مع نوح تعددّت الأسماء واختلفت؛ فلأنّه ابتعد عن نوح واغترب عنه سمّي بالغراب وغراب البين، ولأنّه عصى نوحا عليه السّلام وخرج عن أمره لمّا بان عنه ولم يأتيه بالخبر سمّي فاسقا، وفي غريب الحديث ذكر ابن قتيبة "أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم سماّه فاسقا لمعصيته إيّاه، وأمر بقتله في الحرم."[124]

وفي المستطرف ذكره باسم **الباسق** حيث قال: "ويسمّى بالباسق لأنّه لمّا أرسله نوح عليه السّلام ليكشف عن الماء فوجد في طريقه رمة، فسقط عليها وترك ما أرسل إليه"[125]، ولعلّه تصحيف وقع في الكتاب، ذلك أنّ لفظة (الباسق) من قولك: "بَسَقَ الشّيء يَبْسُق بُسوقا: تمّ طوله. الباسق المرتفع في علوّه."[126] بينما علّل صاحب المستطرف تسمية الغراب (بالباسق) بتعليل تسمية (الفاسق)؛ وهو تركه ما أرسل إليه، حيث فسق الغراب عن أمر نوح أي خرج عليه.

- **النَّعّاب:** "فرخ الغراب، ومنه دعاء داوود- عليه السّلام-: (يارازق النّعّاب في عشّه)"[127] ، وفي لسان العرب (النّعّاب): "الغراب"[128]، و"نَعَب الغراب يَنْعَب ويَنعِب وهو مدّه عنقه في نُعاقه."[129]

- **أسماء أخرى:**

وذكرت أسماء أخرى للغراب في بعض المعاجم، أو ضمن بعض السياقات الشعرية من نحو:

- **الباكي:** قال الكميث:

أَلِلْوُرْقِ الْهَوَاتِفِ أَمْ لِبَاكِ عَمٍّ عَمَّا يُزَن بِهِ غَفُول[130]

قال ابن قتيبة في المعاني الكبير "الباكي الغراب ينعب بالفراق وهو غافل عن ذلك."[131]

- **الشّاجح:** وهو الغراب أيضا، وفي ديوان المعاني ذكر أبو هلال العسكري قول شاعر:

وَجَرَى بِبَيْنِهِم غَدَاةَ تَحَمَّلُوا مِنْ ذِي الْأَبَارِقِ شَاجِحٌ يَتَفَيَّدُ[132]

ولعلّه هنا أيضا وقع تصحيف في الكتابة، وقد يكون قصد (الشّاحج) من صوته.

- **اللّعين:** قال الطّرماح:

وجرى بالذي أخاف من البين لعين يَنـوض كـلّ مَنـاض[133]

صَـيْدَحيُّ الضّحى كـأنّ نساه حين يحتث رجله في إباض[134]

قال ابن قتيبة: "اللّعين: الغراب"[135].

وفي لسان العرب تطلق لفظة (اللّعين) بمعنى: (المطرود، الشيطان، الممسوخ، والمُخزى المُهلك، واللّعين -أيضا- ما يتّخذ في المزارع كهيئة الرّجل أو الخيال تُذْعَر به السّباع والطّيور.)[136]

وسجّلت أشعار العرب عن بعض الصّفات الخلقية للغراب، ومن ذلك قول كعب بن زهير:

وحَمْشٌ بَصِيرُ المُقْلَتَيْن كَأَنَّهُ إذا مَشَى مَسْتَكْرِهُ الرِّيحِ أَقْزَلُ[137]

- **(حمش)**: والحمش -هنا- " الغراب – يقول هو دقيق السّاقين."[138]
- **(أقزل):** و"القزل أسوأ العرج وأقبحه، وقَزِل يَقزَل قَزَلا، والذكر أقزل والأنثى قزلاء."[139]

وقال عنترة:

ظَعَنَ الَّذِينَ فِـرَاقَـهُـــم أَتَـوَقَّـعُ وَجَرَى بِبَيْنِهِمُ الغُرَابُ الأَبْقَعُ

حَرِقُ الجَنَاحِ كَأَنَّ لَحْيَيْ رَأْسِـهِ جَلْمَانُ بِالأَخْبَارِ هَـشٌّ مُولَعُ[140]

- **(حرق الجناح):** "وحَرِق شعره بالكسر، أي تقطّع ونسل، فهو حَرِق الشّعر والجناح."[141]

وقال الشمّاخ:

وظلّ غراب البين مؤتبض النّسى له في ديّار الجارتين نعيق[142]

- **(مؤتبض النّسى):** أو منقبض النّسا حيث يوصف الغراب بشنج النّسا، والشّنج: تشنّج الأصابع كلّها، والجلد"[143]، وهو "تقبّض في الجلد."[144]
- **القهقر:** والقهقر: "الحجر الأسود الأملس الصّلب غراب قهقر: شديد السّواد."[145]

2- كنى الغراب:

للغراب كنى مختلفة ذكرتها كتب اللّغة ومعاجمها، وهي الأخرى تعبّر عن طبيعة هذا الطّائر وصفاته أو حتّى سلوكه، ونذكر منها:

- **ابن أرض[146]:** "وأتانا ابن أرض أي غريبا"[147]، والغراب ربّما لأنّه اغترب عن سيدنا نوح ونأى عنه.
- **ابن بريح:** وذكر الجوهري: " **(أمّ بريح)** وهو اسم للغراب"[148]، وفي اللّسان: " وهو معرفة، سمّي بذلك لصوته؛ وهنّ بنات بريح، قال ابن بريّ: صوابه أن يقول ابن بريح"[149]، وفي جمهرة الأمثال: "الغراب لأنّه يُبَرّح بالبعير إذا وقع على ظهره."[150]
- **ابن دأية:** "الغراب الأبقع، سمّي بذلك لأنّه إذا رأى دَبَرة في ظهر البعير، أو قرْحة في عنقه، نزل عليها ونقرها إلى الدّأيات."[151]
- **أبو حاتم[152]:** لأنّه يحتم بالفراق من (الحتم)أي ويقضي به؛ وعرضنا له في أسمائه.
- **أبو جحادب[153]:** وفي المحكم "رجل جَحْدب: قصير."[154]
- **أبو حَذَر[155]:** من الحذر، ويضرب به المثل في ذلك؛ فيقال: (أحذر من غراب)[156] ، إلى جانب طير العقعق والعصفور"[157]، وشدّة الحذر واحدة من علامات الذّكاء التي ميزت الغراب، وذلك "أنّه يملك أكبر حجم لنصفي المخ بالنّسبة إلى حجم الجسم في كلّ الطّيور المعروفة."[158]
- **أبو ريدان[159]:** جاء في تهذيب اللّغة: "الرِّيْد بلا همزة الأمر الذي تريده وتُزاوله [...] ويقال: راد يَرود إذا جاء وذهب."[160]
- **أبو الشؤم[161]:** وهو على قول الجاحظ أكثر ما يتشاءم به كما ذكرنا سابق، ومن ذلك -أيضا- أنّه يكنى بأبي زاجر.**"[162]**
- **أبو عتّاب[163]:** " والعَتَبان: عرج الرَّجل. وعتب الفحل يعتِب ويعتُب عَتْبا وعَتَبانا وتَعْتابا: ظَلَع أو عُقِل أو عُقِر فمشى على ثلاث قوائم قفزا. وكذلك الانسان إذا وثب برجل واحدة ورفع الأخرى. وكذلك الأقطع إذا مشى على خشبة. وهذا كلّه تشبيه كأنّه يمشي على عَتَب درج أو جبل أو حَزْن فينزو من عَتَبَة إلى أخرى"[164]، ولمّا كان من سمات مشية الغراب العرج والقزل وافق أن يكنّى بأبي عتّاب.
- **أبو المر[165]:** والمرّ معروف وهو نقيض الحلو، وكثيرا ما عبّر الشّعراء عن مرارة الفراق ولوعته لمّا ينذرهم الغراب بواحدة من سلوكاته المستكرهة.
- **أبو المرقال:** وذكر الدّميري قول شاعر:

إنّ الغراب وكان يمشي مشيـــــة فيما مضى من سالف الأجيال
حسد القطاة ورام يمشي مشيها فأصابه ضرب من العقـــــــــــــال
فأضلّ مشيته وأخطأ مشيـــــــــها فلذاك سموه أبا المرقـــــــــــــــال[166]

والإرقال ضرب من المشي السّريع، و" أرقلت الدّابة: أسرعت."[167]

ويكنّى الغراب -أيضا- بأبي الجرّاح[168]، وأبي القعقاع.[169]

التفاؤل بالغراب عند العراب

ذكر الجاحظ أنّ "العامة تتطيّر من الغراب إذا صاح صيحة واحدة، فإذا ثنّى تفاءلت به"[170]، ومن العرب من كان لا يتطيّر أبدا، يقول المرقّش:

إنّ غدوت وكنت لا أغدو على واق وحاتم
فإذا الأشائم كالأيـــــا من والأيامن كالأشائم
فكذاك لا خـــير ولا شرّ على أحد بدائـــم[171]

فأمّا دلالة الغراب على الغربة والافتراق فتوهّم متعلّق بوجوه الاعتقاد لدى الرّجل، يقول الجاحظ: "الغراب وغير الغراب في ذلك سواء. والأعرابي إن شاء اشتق من الكلمة، وتوهّم فيها الخير، وإن شاء اشتق منها الشرّ. وكلّ كلمة تحتمل وجوها."[172]

قال قيس بن الرّقيات:

بَشَّر الظبي والغراب بسُعدى مرحبا بالذي يقول الغراب[173]

وقال الجاحظ في موضع آخر: "فهو لو شاء جعل الحَمام من الحِمام والحَميم والحِمى [...] وإذا اشتق البين من البان. وإذا شاء اشتق منه البيان"[174]، فواقع المرء على اعتقاده وإيمانه بالأشياء.

خاتمة

إنّ ذلك التّعامل بين اللّغة والنّفس الإنسانية يظهر في تلك الدّلالات التي يعكسها سياق التّسميات المختلفة للغراب، ومن تمّ فإنّ تلك المسمّيات تمثّل حالة من التّجاوب الحاصل بين مفردات اللّغة وردّة الفعل الإنسانيّ اتجاه هذا الطّائر تبعا لمظاهر مختلفة ومواقف متعدّدة من شأنها خلق حوار لغويّ يفسّر العلاقة بين الدّلالة والتّسمية، وبناء على ما سبق فإنّه يمكن حصر دلالات أسماء الغراب في سياقين دلاليين؛ جاء الأول في سياق (الشؤم) والآخر في سياق ملاحظة (الصّفات الخَلْقية والسّلوكية للغراب).

يضم القسم الأول مجموعة من المسمّيات التي تحمل دلالة الشّؤم من خلال ثلاث مظاهر وهذا كالآتي:

1)- اللّون الأسود

وقد تعددت المسّميات في هذا السّياق واللّون واحد، فقد سمّي: الغراب، الغربيب، والحاتم، والأكحل، والعوهق، والغداف، القهقر.

2)- الصّوت

ذكر الشعراء أبياتا مختلفة يتطيّرون بها من صوت الغراب، وقد سمّي أيضا: الشحّاج، الغاق، النعاب، الشّاجح، ابن بريح.

3)- أسماء نتيجة اعتقادات وقصص

لقد جمعت الغراب بالإنسان مواقف أشهرها قصّة خروجه عن أمر نوح عليه السّلام، إلى جانب فكرة أنّه يسكن البيوت المهجورة حيث يوحي برحيل أصحابها وهجرهم المكان، ومن مثل هذه المواقف ارتبط الغراب في ذهن العربي بدلالات الفراق والفسوق، فكان من مسمّياتهم: غراب البين، الفاسق، الباكي، اللّعين، أبو حاتم، أبو الشّؤم، أبو المر.

أمّا القسم الثّاني فيتمثّل في استنباط أسمائه تبعا لمظهر من مظاهر خلقه وسلوكه وهو يحتمل وجود قسمين هما:

1)- أسماؤه تبعا لخلقه

سمّي الغراب تبعا لهذا القسم: الأعرج، الأعور، حمش، حرق الجناح، مؤتبض النّسا، أبو عتّاب.

2)- أسماؤه تبعا لسلوكه

يسمّى في سياق هذه الدّلالة: ابن أرض، ابن دأية، أبو حذر، أبو المرقال.

بناء على ما سبق فإنّه على تعددّ مسمّيات الغراب إلاّ أنها تدور في سياق دلاليّ واحد غالب وهو التشاؤم، فقد أصبح عند العرب علما من أعلام الزّجر والتطيّر، وأحد العوامل النّفسية التي تبعث على التشاؤم، إلاّ أنّ قضية التشاؤم والتفاؤل بصفة عامة تبقى مرهونة بالإنسان وطريقته في النّظر إلى الأشياء تبعا لظروف تسهم في بنائها.

الهوامش:

1-الطّبيعة في الشعر الجاهلي، نوري الحمودي القيسي، دار الإرشاد، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، 1390ه-1970م، ص95.

2-العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطّبعة الثانية والعشرون، (د.ط)، (د.ت)، ص79.

3-الطبيعة في الشعر الجاهلي، نوري حمودي القيسي، ص.189
4-فضل العرب والتنبيه على علومها، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت. وليد محمود خالص، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطّبعة الأولى، 1998م، 141/2.
5-السّانح ما ولّاك ميامينه والبارح ما ولّاك مياسره ، ينظر: الغريب المصنّف، أبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق المختار العبيدي، ادار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، الطبعة2، 1416ه-1996م، 782/3.
6-الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، الطّبعة الثانية،1384ه-1965م، 438/3.
7-لسان العرب، ابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، 21/ 1813.
8-الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، 443./3
9-المعاني الكبير في أبيات المعاني، ابن قتيبة الدينوري، ت. سالم الكرنكوي، دار النهضة الحديثة، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، 264/2.
10-الفسل: الرَّذل والنَّذل الذي لا مروءة له ولا جَلَد، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (فسل)، 3414./38
11-الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، 315-314/2.
12-حياة الحيوان الكبرى، كمال الدّين محمد بن موسى الدّينوري، تحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى،1426ه-2005م، 263/3.
13-ينظر: كشف الأسرار في حكم الطّيور والأزهار، عزّ الدّين بن عبد السّلام بن غانم المقدسي، تحقيق علاء عبد الوهّاب محمد، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، 104 ص-105.
14-المائدة / 30-31.
15-الحيوان في القرآن الكريم، زغلول راغب محمّد النجّار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، 1427ه-2006م، ص406.
16-الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرّسالة، بيرتت، لبنان، الطبعة1، 1427ه- 2006م، 421./7
17-الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، 411./3
18-في صحيح البخاري: حدّثنا مُسدّد: حدّثنا يزيد بن زُرَيْع: حدّثنا مَعْمَر، عن الزُّهْريّ، عن عُرْوة، عن عائشة رضي الله عنها، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: "خمس فواسق يُقتلن في الحَرَم: الفأرة، والعقرب، والحُدَيّا، والغراب، والكلب العقور"، ينظر: صحيح البخاري، أبو عبد الله محمّد بن اسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، 1204./3
19-قال البخاري: الحديث "ضعيف الإسناد، رائطة لا تعرف"، ينظر: الأدب المفرد، الحافظ محمّد بن إسماعيل البخاري، تحقيق سمير بن أمين الزّهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرّياض، المملكة العربية السّعودية، الطبعة الأولى، 1419ه-1998م، 444/2.
20-غريب الحديث، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، تحقيق عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، الجمهورية العراقية، الطّبعة الأولى1397ه-1977م، ص328/1
21-شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل الأعلم الشنتمري، تحقيق حنا نصر الحتّي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى،1414ه- 1993م، ص.44
22-ديوان ذو الرمة، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1415ه-1995م، ص.107

23-شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، تحقيق مجيد طرّاد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، 1412ه-1992م ص.130
24-ديوان ذو الرّمّة، ص.45
25-نظام الغريب، عيسى بن إبراهيم الربعي، ت. بولس برونله، مطبعة هندية بالموسكي، مصر، الطّبعة الأولى، (د.ت)، ص171.
26-أدب الكاتب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محمد الدّالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص161.
27-الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، 443/3.
28-الحيوان في القرآن الكريم، زغلول راغب محمد النجار، ص408.
29-نفسه، ص.62
30-نفسه، ص.130
31-شرح ديوان عنترة، ص.94
32-نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب النّويري، تحقيق يوسف الطّويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،1424ه-2004م، 129/10.
33-زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن اليوسي، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، المغرب، الطّبعة الأولى، 1401ه- 1981م، 1/ 185.
34-الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، 2/ 315.
35-نفسه، 316/2.
36-جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى،1408ه-1988م، 1/ .198
37-مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، تحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد ، مطبعة السّنة المحمدية، مصر، د.ط، 1374ه-1955م ،120/1.
38-زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن اليوسي، تحقيق محمّد حجي ومحمّد الأخضر، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، المغرب، الطّبعة الأولى،1401ه-1981م، 105/2.
39-مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني،،226/1.
40-نفسه،87./1
41-زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن اليوسي،146/3.
42-مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني،260/1.
43-نفسه.
44-زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن اليوسي، 210/3.
45-مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، 44./2
46-مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، 90/2.
47-لسان العرب، ابن منظور، مادة (غرب)، 3229./36
48-زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن اليوسي، 215./3
49-الأمثال، أبو عبيد القاسم بن سلاّم، تحقيق عبد المجيد قطّاش، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الاسلامي، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرّمة، المملكة العربية السّعودية، الطبعة الأولى،1400ه-1980م، ص187.
50-الأمثال، أبو عبيد القاسم بن سلاّم، ص187.
51-مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، 63/2.
52-زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن اليوسي،192./2
53-الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، 3/ 421-.425
54-مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، 135/1-136.

55-نفسه، 160/2.
56-نفسه.
57-تعبير الرؤيا، أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري، تحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، سوريا، الطّبعة الأولى، 1422ه- 2001م،ص.191
58-لسان العرب، ابن منظور، مادة (سود)،24/. 2141
59- فقه اللّغة وأسرار العربية، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثّعالبي، تحقيق ياسين الأيّوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الثانية، 1420ه-2000م، ص126.
60- فقه اللّغة وأسرار العربية، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثّعالبي، ص .127
61- ينظر: اللّغة واللّون، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، 1997م، ص162-163.
62-اللّغة واللّون، أحمد مختار عمر، ص.195
63- ينظر: اللّغة واللّون، أحمد مختار عمر، ص186.
64-آل عمران/ .206
65- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الرّاغب الأصفهاني، تحقيق نزار مصطفى الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز، د.ط، د.ت، 324/1-.325
66- النّحل/58.
67- يونس/.27
68- الحديث عن قتيبة، عن جرير، عن عطاء ابن السّائد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ينظر: الجامع الكبير (سنن الترميذي)، ابو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة التّرمذي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد اللّطيف حرز الله، دار الرّسالة العالمية، دمشق، سوريا، الطّبعة الأولى، 1430ه- 2009م، 389/2.
69-الحديث عن أحمد بن منيع، عن هُشيم عن منصور ابن زادان ويونس، عن الحسن بن مغفّل، عن النبّي صلّى الله عليه وسلّم، ينظر: الجامع الكبير (سنن الترميذي)، ابو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة التّرمذي، 308/3-309.
70-تأويل مختلف الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة- تحقيق محمّ محي الدّين الأصفر، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطّبعة الثانية، 1419ه-1999م، ص 208.
71-ينظر: الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، 315/2.
72- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، 315/2.
73-عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري، منذر محمد سعيد أبو شعر، المكتب الاسلامي، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، 1429ه- 2008م، 112/2.
74- ديوان النّابغة الذّبياني، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطّبعة الأولى، (د.ت)، ص.89
75-شرح ديوان عنترة، ص.154
76-لسان العرب، ابن منظور، مادة (غرب)، 36/ .3230
77- المصدر نفسه.
78-شرح ديوان عنترة، ص.49
79-تاج اللّغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطّبعة الرابعة، 1990م، 1187/3.
80-شرح ديوان عنترة، ص94.
81-المستطرف في كلّ فن مستظرف، شهاب الدّين محمد بن أحمد الأبشيهي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1412ه-1992م، 139/2.
82- حياة الحيوان الكبرى، كمال الدّين محمد بن موسى الدّميري، 114/1.

83- أساس البلاغة، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، تحقيق محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، 1419ه-1998م،642/1.
84-جمهرة اللّغة، أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، 1987م، مادة (عصم) 887./2
85- لسان العرب، ابن منظور، مادة (عصم)، 2977./33
86- حياة الحيوان الكبرى، كمال الدّين محمد بن موسى الدّينوري، 259/3.
87-لسان العرب، ابن منظور، مادة (عور)، 3165/35.
88- ينظر: حياة الحيوان الكبرى، كمال الدّين محمد بن موسى الدّميري،259/3.
89-المحكم والمحيط الأعظم في اللّغة، علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق إبراهيم الأبياري، معهد المخطوطات بجامعة الدّول العربية، مصر، الطبعة الأولى، 1391ه- 1971م، مادة (ب غ ث)،894/5.
90-المحكم والمحيط الأعظم في اللّغة، علي بن إسماعيل بن سيده، مادة (حتم) 208/3.
91-جمهرة اللّغة، أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد، مادة (حتم)،387/1.
92-تاج اللّغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطّبعة الثانية، 1399ه- 1979م، مادة (حتم)، 1892/5.
93-لسان العرب، ابن منظور، مادة (حتم)، 772/6.
94-تهذيب اللّغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق عبد السّلام هارون وآخرون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1396ه- 1976م، 468/4.
95-حياة الحيوان الكبرى، كمال الدّين محمد بن موسى الدّميري، 469/2.
96-نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب النّويري، 127/10.
97-حياة الحيوان الكبرى، كمال الدّين محمد بن موسى الدّينوري، 259/3.
98-تهذيب اللّغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، مادة(ورق)،290/9.
99-ديوان جران العود النّميري، تحقيق نوري حمودي القيسي، دار الحرّية للطباعة، بغداد، الجمهورية العراقية، (د.ط)، 1982م، ص39.
100-الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، 441/3.
101- نظام الغريب، عيسى بن إبراهيم بن محمد الربعي، تحقيق بولس برونله، مطبعة هندية بالموسكي، مصر، الطّبعة الأولى، د.ت، ص171.
102-حياة الحيوان الكبرى، كمال الدّين محمد بن موسى الدّينوري، 242/3.
103- تهذيب اللّغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، مادة (عهق)، 125/1.
104- لسان العرب، ابن منظور، مادّة (غهق)،3311/37.
105-المحكم والمحيط الأعظم في اللّغة، علي بن إسماعيل بن سيده، مادة (غوق)، 22/6.
106-لسان العرب، ابن منظور، مادة (غوق)،3317/37.
107- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب النّويري، 128/10.
108-لسان العرب، ابن منظور، مادة (غدف)، 3218/36.
109- مبادئ اللّغة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي، تحقيق عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ص248.
110- لسان العرب ، ابن منظور، باب الغين، مادة (غرب)، 3229/37.
111-حياة الحيوان الكبرى، كمال الدّين محمد بن موسى الدّميري، 258/3.
112- ينظر، لسان العرب ، ابن منظور، مادة (غرب)، 3225/37.
113-غريب الحديث، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، 327/1.
114-نفسه، 328/1.
115- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، 438/3.
116- نفسه، 315/2.

117-تاج اللّغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، مادة (بين)، 2082/5.
118-الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، 315/2.
119-غريب الحديث، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، 327/1.
120- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، 315/2.
121-معجم الحيوان، أمين المعلوف، دار الرّائد العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، 169.
122-جمهرة اللّغة، أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد، مادّة (غرب)، 321/1.
123-نفسه، مادة (فسق)،847/2.
124-غريب الحديث، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، 327/1.
125- المستطرف في كلّ فن مستظرف، شهاب الدّين محمد بن أحمد الأبشيهي، 139/2.
126-لسان العرب، ابن منظور، مادة (بسق)، 284/4.
127-تاج اللّغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، مادة(ن ع ب)، 288/4.
128- لسان العرب ، ابن منظور، مادة (نعب)، 4469/49.
129-أساس البلاغة، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، مادة (نعب)، 284/2.
130- ديوان الكميث بن زيد الأسدي، تحقيق محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، 2000م، ص300.
131- المعاني الكبير في أبيات المعاني، ابن قتيبة الدينوري، 266/1.
132- ديوان المعاني، أبو هلال العسكري، أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، 1414ه-1994م، 493/2.
133- ديوان الطرماح، تحقيق عزّة حسن، دار الشّرق العربي، حلب، سوريا، الطّبعة الثانية، 1414ه-1994م، ص171.
134-ديوان الطرماح، تحقيق عِزّة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، الطّبعة الثّانية، 1414ه-1994م، ص171.
135-المعاني الكبير في أبيات المعاني، ابن قتيبة الدينوري، 263/1.
136- لسان العرب، ابن منظور، مادة (لعن)، 4045/45.
137-ديوان كعب بن زهير، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين العسكري، تحقيق حنا نصر الحتّي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1414ه-1994م، ص58.
138-المعاني الكبير في أبيات المعاني، ابن قتيبة الدينوري، 256/1.
139- جمهرة اللّغة، أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد، مادة (قزل)،823/2.
140-شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، ص94.
141- تاج اللّغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، مادة (حرق)، 1457/4.
142-ديوان الشمّاخ بن ضرار الذّبياني، تحقيق صلاح الدّين الهادي، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ص242.
143-العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، مادة (ش ن ج)، 37/6.
144-تاج اللّغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، باب الجيم، فصل الشّين،325/1.
145- المحكم والمحيط الأعظم في اللّغة، علي بن إسماعيل بن سيده، مادة (قهقر)، 332/4.
146- حياة الحيوان الكبرى، كمال الدّين محمد بن موسى الدّميري، 259/3.
147-أساس البلاغة، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، مادة (أرض)، 24/1.
148- تاج اللّغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، باب الحاء، 356/1.
149- لسان العرب، ابن منظور، باب الباء، مادة (برح)، 247/4.
150- جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، 36/1.
151-حياة الحيوان الكبرى، كمال الدّين محمد بن موسى الدّميري،398/2.
152-المستطرف في كلّ فن مستظرف، شهاب الدّين محمد بن أحمد الأبشيهي، 139/2.

153- حياة الحيوان الكبرى، كمال الّدين محمد بن موسى الدّميري، 259/3.
154-المحكم والمحيط الأعظم في اللّغة، علي بن إسماعيل بن سيده، مادة (جحدب)، 39/4.
155- حياة الحيوان الكبرى، كمال الدّين محمد بن موسى الدّميري، 259/3.
156- زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن اليوسي، 105/2.
157-الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، 329/2.
158-الحيوان في القرآن الكريم، زغلول راغب محمّد النجّار، 406.
159- حياة الحيوان الكبرى، كمال الدّين محمد بن موسى الدّميري، 259/3.
160- تهذيب اللّغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، مادة (راد)، 162/14-163.
161- حياة الحيوان الكبرى، كمال الدّين محمد بن موسى الدّميري، 259/3.
162- نفسه.
163- نفسه.
164- المحكم والمحيط الأعظم في اللّغة، علي بن إسماعيل بن سيده، مادّة (عتب)، 40/2.
165- حياة الحيوان الكبرى، كمال الدّين محمد بن موسى الدّميري، 259/3.
166- نفسه، 259/3.
167- المحكم والمحيط الأعظم في اللّغة، علي بن إسماعيل بن سيده، مادة (رقل)، 220/6.
168-حياة الحيوان الكبرى، كمال الدّين محمد بن موسى الدّميري، 259/3.
169- مبادئ اللّغة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي،255.
170-الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ،457/3.
171-ديوان المرقّشين، المرقّش الأكبر، تحقيق كارين صادر، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى،1998م، ص76-77.
172- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، 444/3.
173-ديوان عبيد الله بي قيس الرّقيّات، تحقيق عزيزة فوّال بابتي، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، 1416ه- 1995م، ص97.
174-الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، 446/3.